الصورة الشعرية في شعر بلقاسم خمار

الصورة الرمزية

أ- دقياني عبد المجيد

أستاذ مساعد مكلف بالدروس قسم الأدب العربي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد خيضر بسكرة

ملخص

الطبيعة هي عود الثقاب الذي يلهب مشاعر الأديب. وفي هذا الإطار يتصدى هذا المقال لدراسة التصوير الرمزي الطبيعي لشعر بلقاسم خمار، وهو دراسة تهدف إلى إبراز العناصر الطبيعية الصامتة والصائتة التي أخذها الشاعر ليعبر بها عن حالات نفسية متنوعة، ذلك أني وجدت هذا الشاعر تفاعل مع الطبيعة تفاعلا حيا واستخدم عناصرها استخداما رمزيا.

كما تسعى هذه المحاولة إلى توضيح دلالات الرموز الطبيعية لشعر شاعرنا المعاصر.

تعريف الرمز:

جاء في معجم لسان العرب أن "الرمز إشارة وإيماء بالعينين، والحاجبين، والشفتين، والفم. والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد. وفي التنزيل العزيز في قصة زكرياء عليه السلام: "ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا""[1].

هذا عن المفهوم المعجمي للرمز أما في معناه الاصطلاحي، فنجد أن الرمزيين – كأصحاب مذهب أدبي– اعتمد الرمز عندهم عن "التشابه بين الأشياء، وهو ثمرة يقتطفها الشاعر من خلال إدراكه الحدسي للعلاقات العميقة والخفية بين الظواهر المادية، وما يختبئ وراءها من أسرار، ثم يوظف الطاقة الإيحائية المتولدة من التقاء الأشياء للكشف عن تلك الأسرار"[2]. فالشاعر بواسطة الرمز يعقد التشابه بين الظواهر المادية المتناثرة والمبعثرة.

لقد اتفق الأدباء والفلاسفة على تعريف الرمز بأنه "شيء حسي معبر كإشارة إلى شيء معنوي، لا يقع تحت الحواس، وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين الشيأين أحست بها مخيلة الرامز"[3].

كما اقترن مفهوم الرمز بالمجاز، ونوع خاص من الكناية، وصار الرمز مع تطور الشعر العربي الحديث من الظواهر الفنية التي تلفت النظر في الشعر العربي وسمة من سماته، واعتمد عليه الشعراء بصفة خاصة في صورهم إدراكا منهم أن لغة الشعر لا تحتمل الوضوح والتحديد، فاتخذوه وسيلة للتعبير، "لأن اللغة العادية عاجزة عن احتواء التجربة الشعورية، وإخراج ما في اللاشعور، وتوليد الأفكار الكثيرة في ذهن القارئ"[4]. فالرمز يضفي على اللغة نوعا من العمق والشفافية والإيحاء، ويعبر عن "النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة، فالرمز هو الصلة بين الذات والأشياء، حيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية، لا عن طريق التسمية والتصريح.

إن ماهية الأسلوب الرمزي وتشكيلاته الجمالية، تهيئ للمتذوق تعدد مستويات الفهم والتحليل، فهو يتقدم خطوة نحو الغموض الشفيف، وقد يتقدم أحيانا خطوات بعدها في أدغال الإبهام والاستغلاق الذي يتنافى مع الخصائص الفنية للتعبير الشعري، وتوصيل الفكرة أو التجربة أكثر العناصر ضرورة، وإذا لم يستطع الشاعر إشراك المتلقين معه في تجربته الشعرية، فإن عمله يفقد تأثيره، فتهدم الجسور بينه وبين المتلقين.

إذا فالصورة تتحول إلى رموز عندما تبلغ درجة عالية من التجريد ولكن ليس لدرجة الإبهام، وهذا الغموض يعطينا إيحاءات تدلنا وتقودنا لمجموعة من الدلالات "فيتعدى الرمز

حدود الصورة المفردة، التي هي شكل حسي محدود، كما يتعدى إطار العلامة التي يمكن إدراكها حسيا بسهولة"[5]. وفي هذه الحالة تستدعي الصورة حضور الأشياء الغائبة بكثافة، مع انتقاء الواقع لبناء المعنى المجرد المتمثل في الرمز، فتنطلق قوى الإبداع الكامنة في موهبة الشاعر، وبذلك تتألق اللغة وتنمو وتتطور[6].

والرمز في اللغة الشعرية يمثل عنصرا هاما. فالشعراء هم القادرون على منح الكلمات العادية دلالات رمزية بعد وضعها في السياق الشعري الخاص، وهذه الرموز منها ما يكون عن وعي وشعور ومنها ما يترسب في العمل الأدبي بدون شعور مما يفسح المجال أمام التحليل النفسي.

والرمز كما يقول (يونغ): "وسيلة إدراك ما لا يستطيع التعبير عنه بغيره فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادل لفظي هو بديل من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته"[7].

واستعمال الرمز بهذا المفهوم نادر جدا في الشعر الجزائري الحديث ومع ذلك فقد عرف الرموز، وكانت الدواعي لاستخدامها –وخاصة إبان الثورة التحريرية– عديدة ومتنوعة فمن ضمن دواعي استخدامه: الخوف من المستعمر أو الرغبة في الستر والتعميه، وقد يؤتى به قصد إغناء الصورة الشعرية بدلالات تعبيرية مختلفة.

يشير شلتاغ عبود شراد إلى "أن الشعراء الجزائريين غلب على شعرهم في مرحلة الثورة الرمز اللغوي"[8].

وخمار من الشعراء الجزائريين الذين كتبوا معظم أشعارهم خلال الثورة التحريرية وطعمها بالرموز اللللغوية فوظّف عناصر الطبيعة وتغيراتها الجوية مثل الرعود، والعواصف، والشمس، والقمر كما استخدم التراث استخداما إيجابيا في كثير من الحالات.

ومن خلال دراستنا لشعر خمار يمكن تصنيف رموزه إلى نوعين:

1- الرموز الطبيعة

2- الرموز التاريخية

1- الرموز الطبيعية:

إذا كان الواقع هو الذي يأخذ منه خمار موسوعته الشعرية فإن الطبيعة هي التي تشكل معجمه وقاموسه اللغوي، فهو يستخدم العواصف والرعود دلالة عن ثورة الشعب، ويذكر النخيل والخمائل في معرض حديثه عن أحلامه وذكريات الصبا عنده.

واستخدام الشاعر لعناصر الطبيعة لا يخرجه عن دائرة الشعر الواقعي وإن كانت هذه الخاصية من خصائص الأدب الرومانسي. ذلك أن الشاعر لا يهيم بالطبيعة ولا يفر لها وإنما يأخذ مظاهرها بصورة مجملة ليعبّر بواسطتها عن أحاسيسه وعمّا في نفسه من مشاعر وانفعالات نفسية، شأنه في ذلك شأن "محمد العيد آل خليفة" من قبله في وصف البحر والجبل.

وما يميز خمار هو أنه لا يقف عند منظر بعينه بل ينتقل من مكان إلى آخر. يقول:

بلادي لست أدري من أنادي ليرفع عنك أرزاء العوادي
أنادي الليل والظلمات لكن نهارك مثلها جم السواد
أنادي البحر والأمواج غضبى تصارعها العواصف كالأعادي
ولكن هل يروق له ندائي وفي أمواجه صوت ينادي
أنادي الصخر والأوطاد حتى تردد صيحتي في كل وادي[9]

نستشف في هذه الأبيات استخداما مكثفا لألفاظ الطبيعية: الليل، الظلمات، نهار، البحر، الأمواج، العواصف، الصخر، الأطواد، وادي...

فحين يريد وصف الثورة فإنه يستخدم كلمات الزوابع والرعود والصواعق. يقول:

أين الزوابع والثلوج وأين دمدمة الرعود
أين الكآبة في السماء وأين أحضان الوجود[10]

كما يستخدم كلمة (الرياح) للدلالة على الثورة تارة، والحديث عن الفرقة التي يمكن أن تعصف بأبناء الشعب الواحد داخل القطر الجزائري أو المغرب العربي. يقول:

تفرقنا الرياح ولست أدري لماذا لا تعلمنا الليالي[11]

وبالإضافة إلى هذه المظاهر الجوية المختلفة يورد الشاعر أسماء أمكنة مثل التلال والسهول والوديان، وكثيرا ما تغنّى الشاعر بجبل الأوراس مهد الثورة. يقول:

يا ساحة اللهب المقدس زلزلي دنيا بطاحي
واستلهمي ثاراتنا الحمراء من ساح لساحي
إنّ هذا..من غضبة الأوراس، من قمم الكفاح
من قبلة الشهداء.. من قلب الملاحم والجراح
يا شعبنا الجبّار..يا زحفا تحرك كالرياح
ندعوك باسم ترابنا الغالي..إلى حمل السلاح[12]

وقد تغنى الشاعر بالديار، فالدار عند الإنسان هي كل شيء، وهي كل ما ترسب في الذاكرة الجماعية، ففي تساؤلاته: لمن يغني: يقول:

لداري التي نسيتني
ولما تراميت بالشوق
أطرق أبوابها
أنكرتني...
وما استقبلتني
فغادرتها
وفؤادي كئيب[13]

فالدار هنا رمز لكل ما ترسب في الذاكرة الجماعية. ويرى الدكتور "علي بن محمد" مقدم ديوان الحرف الضوء أن الدار هنا "رمز تتجسد فيه مجموعة كثيرة من القيم التي تشكل البناء المعنوي للفنان...فالدار في نظره حلقة تربط بين الماضي والحاضر، هي خزان الذكريات، ومنطق الأحلام ومدرج البراءة، وينبوع الحياة وعنوان الاستقلال، وهي في كل الأحوال المتسع عند الضيق، والملجأ عند الخوف"[14].

ولا يكتفي بإيراد ألفاظ الطبيعة الصامتة بل يستخدم الطبيعة الصائتة أيضا ممثلة في الطيور والحشرات والحيوانات. ويذكر كثيرا الحمام، والقطا، كرمز للسلام، ويستخدم رمز الفراشة أو الطائر لوصف حالته كشاعر. واستخدم الشاعر قصيدة في شكل حوار بين النملة والصرصور يقول في مقدمتها:

الإهداء:

إلى الكبار في سذاجة الصغار

إلى تلاميذ "أكلوب" في "عمان"

عيونهم تخشى بريق النور

أرجلهم غارقة في الوحل

أذرعهم تلعب بالنيران

لا فكر، ولا إحساس..

لا شعور.. !

إلى عبيد المقعد النواس..

صبيان..ياللعار.. !

إلى الذي يدعونه البطل

جبينه لا يعرف الخجل

الهارب، المرتجف..المغرور:

حكاية النملة والصرصور

ومما جاء في نهاية القصيدة:

ومن خلال كوة صغيرة

أبصرت الصرصور فوق قشرة

مرتميا بحفرة

في النزع الأخير

وبوقه محطم

وتاجه الحقير

حثالة موخومة باهتة الألوان

لا عون لا نصير

* * *

وهكذا..

أشارت النملة في وجم:

" نشأت من تفاحة معفنة

في مزبلة
وعشت للنفاق للغرور
وقد أتى مصيرك المحتم:
الموت في الأقذار يا صرصور.. ! "[15]

والملاحظ على هذا النص أنه جاء في شكل حوار بين نملة وصرصور تكوّن أو تخرج من تفاحة معفنة انفجرت في مزبلة، ويصور لنا الصرصور بتاج حقير وبأجنحة تجهل الطيران وهو كسول مرتخ فاشل كالسكران فكأنه الأوساخ والأدران، وزمانه أحقر من أي زمان.

بينما النملة، لا تاج لها ولا جناح إلا أنها من موطن الأزل، لا تعترف بالتاج، بل تهزأ به كما تهزأ بالأجنحة، وتحتقر كل ماله صوت مدوي فلا يؤثر فيها وحتى الظلام لا تخشاه، ولا تستسلم للصراع برغم صغر حجمها وضعف بنية جسدها، وهي تتحدى كل شيء تتحدى الإنس والجان وجيوش سليمان.

وما نستشفه من الحوار أن النملة رمز النشاط والكد والكفاح تمثل فلسطين المحتلة. والصرصور رمز الكسل واللهو والغناء يمثل المملكة الأردنية، وجيوش سليمان تمثل إسرائيل.

إنه حوار حار، وكل حاول أن يدرج صاحبه ويهزأ منه، إلا أن النملة بفضل جديتها وإيمانها بقضيتها عرفت كيف تنهي الحديث لفائدتها، وأن ترد له الصاع صاعين:

"نشأت من تفاحة معفنة
في مزبلة
وعشت للنفاق للغرور"[16]

لكن هذا النموذج من القصائد قليل جدا، إن لم نقل: إن هذه القصيدة هي الوحيدة فيما يتعلق باستخدام التعبير غير المباشر عن طريق الرمز بالحشرات.

ومن ضمن استخدامه للرمز إيراده لكلمة الأسد، والهزبر في معرض حديثه عن الثورة والثوار، وهذا مثل قوله:

الأرض أرضك أي هذا الساري   فابطش بخصمك كالهزبر الضاري[17]

ويستخدم الشاعر أيضا بكثرة ألفاظ الزمان كالليل والنهار، والفجر والسحر، كما يستخدم الفصول وتعاقبها.

ومن هنا يمكن القول: إن الشاعر سجل في شعره كثيرا من المظاهر والمناظر الطبيعية ولعل هذا يعود لتأثره ببيئة وطنه وطبيعته المنوعة، هذه الطبيعة التي ألهمت كثيرا من أبنائها ومنهم خمار. لكن ما نلاحظه على شاعرنا استخدامه لألفاظ الطبيعة أتى بصورة منقطعة وبطريقة تراكمية تكدس هذه المناظر والظواهر. يقول:

أين الزوابع والثلوج وأين دمدمة الرعود
أين الكآبة في السماء وبين أحضان الوجود
والشمس ذابلة وأحلام الطبيعة في خمود
أين الشتاء وهل تلاشى كالسراب وهل يعود؟
وسمعت سجع حمامة تشدو بألحان الخلود:

ويلجأ الشاعر للطبيعة هربا من واقعه المتأزم باحثا عن عالم مثالي خاصة عندما يثقل عليه الواقع ويسيطر عليه الشعور بالكآبة فيصبح الهروب إلى الطبية نوعا من الرفض للواقع.

وتعبر الطبيعة عند بلقاسم خمار، دائما عن حالته النفسية والشعورية شاعرنا في قصيدة "زمن الغربة والغروب" يذكر عناصر الطبيعة (النهار، النور، النسائم، سحب، أمطار، العصف) كرموز عكست حالة اليأس والخوف والحزن لديه. يقول:

فكأنه جسد النهار
يموت
كفن بالشعوب
أو أنه شبح يطل
فيختفي أنس الدروب
كل العصافير الصغيرة، منه
في ذعر الهروب
لا النور.. لا الأطفال تمرح
لا الأريج من الطيوب
حتى النسائم
تنزوي كمدا
وتبخل بالهبوب

وفي موضع آخر من القصيدة:

كم ذا أخاف من الخفايا
والغيوب.. !
سحب..
وأمطار النجيع تصب
من عصف الخطوب.[18]

فالشاعر هنا يمزج عواطفه ومشاعره بمظاهر الطبيعة، فلشدة حالته الكئيبة صور النهار والنور والنسائم في حالة خوف وحزن، فأخرجها من معانيها الحقيقية، ورمز بها لشيء لا يتطابق مع دلالتها. فالنهار، والنور، والنسائم، رمز للفرح والسعادة لكن الشاعر، –ولأن تجربته هي التي تتكلم– صورها بغير ذلك.

وفي حالة نفسية أخرى مغايرة، جعل عناصر الطبيعة رمزا للاستيقاظ بعد الغفلة والنهوض والنمى، فيأتي الفرح والخير الكثير كما صور ذلك في قصيدته "محال" فقال:

وهبّت رياح
صحونا..وثرنا..
خرجنا من الليل
مثل الرجال..
وقمنا
حرثنا، زرعنا..
سقينا..
ضربنا المثال
تبسم فصل الخريف
وأنجب حقلا
جميل الظلال.[19]

فرمز بـ (الرياح) نفض الغبار على الوعي فاستيقظ العقل، وأراد الخروج من الظلام فأنهى مرحلة (الليل) فبدأ العمل (والحرث والزرع)، فتبسم (فصل الخريف) وجاء نتيجة الزرع والحرث (حقلا جميل الظلال).

كما نجد الشاعر يوظّف البحر كرمز للغدر والخيانة، لا أمان فيه وجاء هذا التوظيف غاية في الجمال والإبداع، فقال الشاعر في قصيدته "حالة للصراخ":

توهمت في البحر منفرجا للتنفس
منعرجا للظنون..
أرى فيه، متسعا لهمومي..
ومأوى هروب من الاختناق..
ولكنه البحر.. !
لما تمايهت فيه
استحال إلى شرنقة
تضيق..تضيق.. !
وأفرزني دمعة محرقة
على ملتقى صخرتين
بقايا غريق.. !.[20]

الشاعر أصاب في تصوير البحر رمزا للغدر، لأن هذا وهم، فالبحر رغم شساعته في أية لحظة يمكن أن يرفض بقاء أي أحد فوقه فتهيج أمواجه وترميه كبقايا غريق، وهكذا فعلا هو البحر غدار وليس برّ للأمان رغم كبره وشساعته.

كما استعمل خمار في قصيدته "إرهاصات الفرار إلى الحرية" مجموعة عناصر طبيعية، عبر بها عن حالته الشعورية السعيدة المستبشرة بالأمال، فأخذ عناصر من الطبيعة للتعبير عن حالته (الأنهار، النور، النجوم، القمر، الأغصان، الاخضرار، الحقول، الثمار) فقال:

ويزحف الغمام
بالأنهار
ويرتمي كنور منهمر
ويختفي الضباب..والغبار
وينجلي..
في عينه الحور
ونحتفل..

وننشد الأشعار
ونرقص النجوم
والقمر..
فليلنا..
عرس بلا أستار
وملتقى نهارنا
غرر..
لتحتضن جذورنا الأغوار
وتعتلي سيقاننا الحفر
في اخضرار..
وتزهر الحقول
بالثمر..[21]

هكذا نجد توظيف عناصر الطبيعة في شعر خمار يتعلق بحالته الشعورية، بما يتلاءم وطبيعة انفعالاته، مرة بالفرح ومرة بالحزن. كما نلاحظ أن الرموز الطبيعية لم تكن بأقل كثافة من الرموز الدينية والتاريخية لدى الشاعر، مما يدل على طبيعة روح الشاعر المتعلقة بالجمال الطبيعي والرباني.

وهكذا يمكن القول إن استخدامه لهذه الرموز لم يأت عفوا، كما لم يأت تقليدا ولكن مرده إلى ثقافته النقدية والشعرية، التي جعلته على دراية بمتطلبات التصوير الشعري في القصيدة المعاصرة، فالشعر الجيد يجب أن يكون مطعما بثقافة واسعة تشمل التراث الإنساني كله، وبهذا أصبحت الصورة عنده وسيلة في العمل الشعري، يعبر من خلالها عن عواطفه وأفكاره، ومواقفه من الحياة.

فالصورة الشعرية عنده أصبحت تمتد بامتداد التجربة، وتعقد أطرافها وأبعادها النفسية والفكرية الممزوجة بالوعي والإبداع والخيال الابتكاري، وأصبح الرمز خاصة من خصوصيات الصورة الحديثة، ولعل ما نستخلصه من خصوصية دور الرمز في بناء القصيدة، هو مدى قدرة الشاعر على تشكيله من خلال مصدره التاريخي والديني، والأسطوري، والطبيعي.

أ- استخدام الألوان:

يميل الشاعر إلى الوصف الحسي، ويلون صوره الشعرية وتعابيره بمختلف الألوان من أبيض وأحمر وأسود وأخضر وأغبر...الخ. هذا بالإضافة إلى الألفاظ التي تحمل معاني السواد أو الضياء مثل الشمس الأفق، الفجر، المساء، الليل...وهو يستخدم هذه الألوان لوصف بعض الأمور وأحيانا يرمز بها إلى معان أخرى. فلون السمرة عنده محبب دوما وهو بدل على الأصالة، فحين يتكلم عن الشعب الجزائري يقول:

أسمر اللون، سماوي الهوى   عربي دمه القاني، ورسمه[22]

وأحيانا يصف الأرض الجزائرية بأنها سمراء. يقول:

لا تفكر...لا تفكر..
يا لهيب الحرب زمجر...ثم دمر...
في الذرى السمراء من أرض الجزائر...لا تفكر...[23]

فالسمرة هنا ترمز إلى العروبة وإلى الأصالة.

اللون الأشقر:

إذا كان اللون الأسمر يرمز إلى الأصالة والعروبة فإن ما يقابله هو لون الإنسان الأشقر، ويعني الأوربي بقيمه الغربية المضادة للقيم العربية الإسلامية. يقول:

فاستعذب موكبنا الأصغر
ريق الأشقر
وقوام الحرف اللاتيني[24]

فالأشقر هنا رمز إلى الإنسان الأوروبي وإلى الحضارة الغربية عموما.

ويصف الشاعر امرأة منسلخة من أصالتها، مفتونة بالحضارة الغربية فيقول في قصيدة (إلى سمراء من بلادي):

فقالت بلكنتها الأجنبية:
"نعم..يا أخي.. يا (بني)
أنا حضرية..
لسانك في مذهبي أجنبي..
كلامك من جاهلية..
غناؤك..آسفة..عربي..

من الصعب..!" قالت:
من الصعب..سارت
وألقت بسمرتها الزاهية
لآخر مبحر..
لأشقر..!
تلقفها بيد لاهية..[25]

فلون السمرة هنا يقابل لون الشقرة حين يكون الأشقر ذكرا، لكن حين يخاطب الشاعر المرأة الشقراء فهو لا يعني بالضرورة المرأة الغربية، بل قد يعني المرأة العربية، ولذلك فإن قصيدة (شقراء) لا توحي لنا باللون الحضاري للشقرة. يقول:

شقراء..يا فاتنة الشعاع والضياء
يا باسمة الشروق..يل واهبة الإغراء[26]

اللون الأبيض:

البياض هو دليل الصفاء والنقاء والسلام. والمسلم من طبعه حب الأبيض من الثياب، وهذا اللون يرمز به الشاعر إلى الجزائر بكثرة، وهو في بعض الأحيان يستعمل كلمة البيضاء ليرمز بها إلى الجزائر. يقول:

شوق اللقاء إلى البيضاء يلهبني
والحب يا شام، بالفيحاء كبّلني
ولست أدري أأرمي السهم في كبدي
أم أرتمي بين أشواقي لتقتلني
سيان..لا الشام إن فضلت تنقذني
ولا الجزائر.. أضحى الأسى وطني[27]

ونفهم من خلال الأبيات أن كلمة البيضاء يرمز بها إلى بلده الجزائر. وعموما فاللون الأبيض محبَّب للشاعر "خمار" فقد أورده بكثرة في ديوانيه (أوراق، وظلال وأصداء).

اللون الأحمر:

يرمز باللون الأحمر إلى الثورة، فهو يكاد يكون عنده مخصصا للدماء فهو رمز القوة والتضحية والفداء والتحدي ورمز الإثارة والانتباه أيضا وتوظيفه تاريخيا هنا يشير إلى الماضي التليد وإلى تاريخ الجزائر الذي لا يعرف السكون أبدا، فتاريخ الثورة الجزائرية مليء بالجهاد والتضحية من أجل الاستقلال فكم من سواقي الدماء التي تدفقت من أعناق أبنائها فداء لها ولكرامتها وحريتها فكيف بالشاعر لا ينساق وراء هذا اللون الذي صبغ الجزائر بكاملها. يقول:

اليوم يصرخ في ضلوع الغدر سهم أحمر
يا شهر تموز الجريح، رعاك شهر نوفمبر [*28]

ويقول أيضا في قصيدة أخرى:

سنوات..ست..
والموت يقطر من دماء الشعب فا
والمدفع المجنون محموم الشفاه
وجبالنا الحمراء يايولا تحدى كالإله[29]

اللون الأسود:

يمثل السواد عند الشاعر كما عند غيره لون المتاعب والمصاعب لا يكثر الشاعر من استخدام لفظة (أسود) بقدر ما يورد كلمة الليل أو الظلام التي تصحب معها السواد، وكلمة الليل لدى الشعراء الذين يستخدمون الطبيعة كلمة عظيمة الأهمية جعلت الدكتور "علي شلق" يقول عنها:

"الليل كلمة شعرية موحية لعلها أعظم كلمات الشعر ومنطقية لدى سائر الشعوب"[30] واستخدام الليل عند "بلقاسم خمار" لا يمثل متعة ولا وقتا للسهر والسمر بل يستخدمه لمعنيين هما:

1- الدلالة على الوقت ومضي الزمن
2- الدلالة على المتاعب والمشاق

يقول:

فأنا الغريب بوحدتي بالخوف تمضغني الليالي
وأنا الشريد، أنا الشقي، أنا المعذب في بعادي[31]

ويقول في قصيدة (دعاء الوطن):

أنا للعروبة راية خفاقة وعلى العداة زوابع الإعصار

أنا آخر الليل الذي كم غمنا بسواده أنا أول الإفجار[32]

فاستخدام الليل في البيتين السابقين يعني ليل الاستعمار بسواده الغاشم بسواده وظلامه، ويقابله الضياء وهو ما رمز إليه هنا بالفجر، وتارة يرمز إليه بالشمس.

وعلى أية حال فإن هذه النماذج التي عرضناها ما هي إلا نزرا يسيرا، وكان القصد من عرضها إبراز ما يتمتع به شاعرنا من ثقافة موسوعية ساعدته على تنويع صوره الشعرية. فضلا عن دلالة الأصالة القائمة على التقاطع بين الماضي والحاضر وقدرته على توظيف عناصر الطبيعة فنيا وفكريا.

الهوامش والمصادر والمراجع

[1] – ابن منظور: لسان العرب. دار صادر، بيروت، مجلد 5، الطبعة1، 1990م، ص119.
[2] – عدنان حسين قاسم: التصوير الشعري، رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، دار عدنان، بيروت، (د.ت)، ص167.
[3] – محمد فتوح: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، 1977م. ص51.
[4] – نسيب نشاوي: مدخل إلى المدارس الأدبية في الشعر المعاصر. ديوان المطبوعات الجامعية،، 1984م.ص471.
[5] – المرجع السابق، ص 472.
[6] – ياسين الأيوبي: مذاهب الأدب (معالم وانعكاسات) . دار الحمراء، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 1981. ص:07.
[7] – د.مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1991م.ص153.
[8] – شلتاغ عبود شراد: حركة الشعر الحر في الجزائر.ش.و.ن.ت، الجزائر، 1985. ص:159.
[9] – بلقاسم خمار: ظلال وأصداء، ش.و.ن.ت، الجزائر، ط2، 1982، ص:18.
[10] – بلقاسم خمار: ربيعي الجريح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1983. ص17.
[11] – المصدر نفسه، ص49.
[12] – بلقاسم خمار: أوراق، ص65.
[13] – بلقاسم خمار: الحرف الضوء، ش.و.ن.ت، الجزائر. ص 170.
[14] – د.علي بن محمد: مقدم ديوان الحرف الضوء، بتاريخ 1979، ص17.
[15] – بلقاسم خمار: الحرف الضوء، ص91.
[16] – المصدر السابق، ص190.
[17] – بلقاسم خمار، ارهاصات سرابية من زمن الاحتراق، ش.و.ن.ت، 19 . ص71.
[18] – بلقاسم خمار: حالات للتأمل وأخرى للصراخ. ص52، 53.
[19] – المصدر نفسه. ص27.
[20] – بلقاسم خمار: حالات للتأمل وأخرى للصراخ. ص18.
[21] – المصدر نفسه، ص74،73.
[22] – بلقاسم خمار: ظلال وأصداء، ص87.
[23] – المرجع نفسه، ص63.
[24] – بلقاسم خمار: الحرف الضوء، ص209.
[25] – بلقاسم خمار: الحرف الضوء ص63.
[26] – بلقاسم خمار: ربيعي الجريح، ص41.
[27] – المصدر نفسه، ص99.
* هذا وردت في الديوان والأصح (نوفمبر)
[28] – بلقاسم خمار: أوراق ص13.
[29] – بلقاسم خمار: ربيعي الجريح، ص36
[30] – علي شلق: التطور في الأدب العربي: دار القلم، بيروت، لبنان، د.ت،ص25.
[31] – بلقاسم خمار: إرهاصات سرابية، ص91.
[32] – المصدر نفسه، ص71.